الى الفردوسى

أتينا محتفلين

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

« ذهب شاعر الفراتين ممثلا للأدب العراقى فى الاحتفال الالفى بالفردوسى ، فألقى على قبر الشاعر الخالد هذه القصيدة الخالدة »

١

أنت فى شعرٍ كان فتحاً مبينا ... واحدٌ من أولئك الخالدينا
بعد ألفٍ من السنين أتينا ... بك يا فردوسىُّ محتفلينا
والى قبرك الذى فيه تغفو ... نحمل الوردَ الغضَّ والياسمينا
ولو ان الإحداث ألقى مساغا ... جعل القوم حجَّ قبرك دينا
لك فى تاريخ الملوك كتابٌ ... يحمل الوحىَ والهدى واليقينا
قمتَ فى نظمه ثلاثين عاما ... ثم لم تأم طولَ تلك السنينا
حزتَ حينا تجلّةً واحتراما ... وتألّمتَ للمصائب حينا

٢

شاعرٌ أنت جامعٌ للمزايا ... خالدٌ لا تدنو اليك المنايا
أنت فى دولة البيان بحقٍ ... ملكٌ ذو عرشٍ ونحن الرعايا
جاء ماقد نظمتَه من كتاب ... تحفةً فارسيةً للبرايا
ولقد أهديتَ الكتاب الى مَن ... لم يكن ذا علم بقدر الهدايا
وألمّت بك الرزايا ولكن ... أنت ما كنتَ عابئاً بالرزايا
يا إمام القريض بعدك فينا ... نفد الشعرُ الجزل إلا بقايا
قد طلبنا التحرير للشعر حتى ... كثرت فى الطلاب منا الضحايا

٣

إن ما قد قصصته من حروب ... سوف يبقى تأثيره فى القلوب
أنت شمسٌ لها البيان شعاعٌ ... لم تمل فى طريقها . للغروب
مالإلياذةَ التى حبّرتها ... يدُ هوميرَ مثلُ ذا الأسلوب
تلك ليلٌ جهمٌ وهذا صباحٌ ... مُسفرٌ ما بوجهه من شحوب
كنتَ تمشى الى الامام حثيثا ... بخطًى لم تخلق لغير الوثوب
يهتف اليوم الوافدون من الأقطار أفواجاً باسمك المحبوب
جلّ ماقد نظمتَه فى مزايا ... الفارسيّين عن جميع العيوب

٤

أنت فى شعرك البليغ امام ... فسلام عليك ثم سلام
جذا ما نظمتَه من كتاب ... أكبرته الشعوب والأقوام
أنت للشرق شاعرٌ عبقرىٌّ ... تتغذّى بقوله الافهام
«لستُ أدرى ولينى كنتُ أدرى» ... أهو السحر أم هو الالهام
كنتَ للناس كوكباً ذا بهاء ... أينما ألقى النورَ زال الظلام
فى رياض الآداب غرسُك يحكى ... شجراً من أثماره الآلام
جُلّما كان ما أملتَ ولكن ... بعد ألفٍ قد صحّت الأحلام

٥

أنت يامَن بهرتَ بالشعر عينى ... شاعرُ المشرقين والمغربين
أنت لو تُمسك الثريا بأيدٍ ... شعراء ، أمسكتَها باليدين
أنت مما تشقه من ضياء ... ملأ العين ، ثالثُ القمرين
ما كتاب الملوك إلاّ بلاغ ... من أبي قاسمٍ الى المَلَوَين
كلما جئتُ منه أقرأ فصلا ... أسبلت عينى فوقه دمعتين
تحفةٌ من بلاغة وشعورٍ ... قد جَلَتْ ما بخاطرى من رَيْن
جمعت بعد أن مضى ألفُ عامٍ ... بينه لُحمةُ القريض وبينى

٦

إن ما ناله الردى من حياتك ... لم ينله للعجز من كلماتك
أنت فى شعرك البليغ نبىٌّ ... وكتابُ الملوك من معجزاتك
لك فيه بلاغة أدهشتنا ... أىّ روحٍ نفختَ فى أبياتك
كلُّ ما كنا قد نظمناه قبلاً ... نظرةٌ فى الحياة من نظراتك
كل ما عندنا من النظم والنث ... ر قبسناه من سنا آياتك
كل ما قد قلناه فى هذه الذ ... كرى ثناء عليك بعضُ صفاتك
قيل لى أنت فى حفيرٍ ولكن ... لم أجد فى الحفير غيرَ رفاتك

٧

قصّرت فى تقديرك الآباء ... فتلافت ما فاتها الأبناء
بعد ألفٍ من السنين أقامت ... لك نيروزاً امةٌ شمّاء
لك يا حجّة البلاغة شعرٌ ... عجزت عن تقليده الشعراء
بمصابيح شعرك ازدانت الأر ... ضُ كما ازدانت بالنجوم السماء
نمّقته يراعةٌ ذات حَوْلٍ ... وبه لوّحت يدٌ بيضاء
واذا ضم الشاعر الحرّ يوماً ... فى بلاد جلاه عنها الاباء
بعد آمالٍ كنّ فيك خيالاً ... فاجأتك الحقيقةُ السوداء

٨

يا كتاب الملوك أنت كتابٌ ... فيه للناس حكمةٌ وصواب
خلق الفردوسيُّ منك خِضمًّا ... فاض يرغو كما يفيض العُباب
بك للشرق ما اهتدى الشرق فخرٌ ... بك للغرب ما ارتقى إعجاب
بك فى أمّةٍ قد ازدادت الأخـ ... ـلاق طيبا وازدانت الآداب
معجزاتٌ وراءها معجزاتٌ ... آمنت إعجابا بها الالباب
إنما فى الشعر الحقيقةُ أصلٌ ... والخيالات كلها أثواب
واذا أنكرَ النبوغَ على الشر ... ق فريقٌ فأنت أنت الجواب

٩

الذى لم يقم به الغَزْنَويُّ ... قام مستوفيا به البهلويّ
مَلِكٌ من ارقى الملوك عظيم ... لاسمه فى سمع الزمان دويّ
ملكٌ بالسياستين خبـــير ... وله فيهما الطريق السويّ
أخضع الأمّةَ العظيمة بالحُسـ ... ـنى فلله عطفُه الأبويّ
وإذا قوّة الارادة جلّت ... جلّ فيهم تأثيرها المعنويّ
والذى لا يرى الحقيقة أعمى ... والذى ينكر الرشاد غويّ
انما اليوم ليس يصلح للمُلْـ ... ـك على وجه الأرض إلا القويّ

١٠

إنك السيف فى يدِ الأيام ... قد نضته للحرب أو للسلام
حاقنا للدماء بالمثل منها ... فى صدام الأقوام بالأقوام
فى يديك القويّتين إذا الأمـ ... ـرُ دعا حقُّ النقض والابرام
وإذا ما بدأتَ يوما باصـ ... ـلاحٍ جديد فالبدء للاتمام
حبذا إيرانُ وعمرانُ ايرا ... نَ وما فى بلادها من نظام
ولقد سرّنى كما سرّ غيرى ... ما بها من نزاهة الإحكام
زرتُ بالأمس الروضَ أمتّع عينى ... وإذا الورد فيه ذو أكمام

١١

أهلُ إيرانَ والحديث شجونُ ... أمّةٌ ما بها يليق السكون
شأنها فى التأريخ أكبرُ شأنٍ ... حبذا فى التأريخ تلك الشؤون
وعلى عين الشرق رانَ رقادٌ ... دونه فى غير الرجاء المنون
ثم أنحى ينبّه الشرقَ منه ... مَلِكٌ حدُّ سيفه مسنون
إنه لما قام للمجد يدعو ... شخصت عن بعدٍ اليه العيون

شـــوقى أيضاً

قطعة كتبها الأستاذ البشرى صدراً لحديثه فى الراديو عن ذكرى شوقى ، ثم بدا له أن يرتجل .

سيداتى سادتى :

فى مثل هذا اليوم من عامين مضيا أذّن مؤذن أن البلبل قد سكت بعد طول سجعه وتغريده ، وأن الزهر قد ذبل بعد إشراقه وتوريده ، وأن النجم قد هوى فلم يعد يتألق ، وأن الغدير قد غاض وهيهات له بعد الآن أن يترقرق .

مات شوقى ، ولو كان شوقى كسائر الناس ما كان لموته جليلُ خطر . ولرب رجل يموت فلا يفرق المجموع بين موته وحياته . ولكن موت شوقى شىء آخر : أرأيتَ الى النهر اذا يَبِس ، والى المطر حين يحتبس ؟ وارحمتا للسارين اذا لحق النجمَ الغروب ، وقد تشعبت الطرق واختلفت رءوس الدروب !

لقد كان شوقى نعمةً من النعم العامة التى تفضّل الله بها على هذه البلاد ، بل التى تفضل بها على أبناء العربية جمعاء . فموته من المصائب العامة التى يحسّ خطرَها كل امرئ يقدر روعةَ الفكر ، ويحتفل لأبهى صور الجمال .

ولو ان الله تعالى بعث الشعور فى مظاهر هذه الطبيعة وأقدرها

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]

طار بالشعب كله للثريا ... صاعداً لو يكون مالا يكون
سيعود المجد القديم لإيرا ... نَ فتقضى الى اليقين الظنون

١٢

أيها الشعر إنك ابن شعوزى ... تغتذى من كآبتى وسرورى
حاملاً ضحكةَ الذى عيشه كا ... نَ رغيداً أو دمعةَ الموتور
سالما من ضعفٍ يريبك منه ... خاليا من زوائد وقشور
ليس شعراً ما ليس فيه شعورٌ ... لا يهيج الشعورَ غيرُ الشعور
واذا الشعر لم تهزّك منه ... روعةٌ فهو جامدٌ كالقبور
إنما الشاعر الموفق يمشى ... من خلودٍ على رقاب الدهور
مُعجَبٌ بالهزار كلُّ بنى الأر ... ض وان لم يكن سوى عصفور

جميل صدقى الزهاوى